

أولاً: الأسلوبية:

1 - مفهوم الأسلوبية ومجالها:

عرف تطور اللسانيات في القرن العشرين بعد صدور كتاب العالم اللساني السويسري " دي سوسير⁽¹⁾" (دروس في اللسانيات العامة) سنة 1916م ؛ وانتشار أفكاره التي توصف بالثورية ؛ وفي مقدمتها الثنائيات مثل: (ثنائية الدال والمدلول؛ و الدياكرونية (التطورية)، والسياكرونية (الآنية) وغيرها.)، ظهور مناهج فكرية و نقدية متعددة، نظرت إلى الخطاب الأدبي نظرة متباينة ومتباعدة في حين، و متواشجة متوافقة أحيانا أخرى ومن زاويتها الخاصة، مثل: (المنهج البنيوي ؛ والمنهج السيميائي... وغيرهما.). فوصفته وصفا علميا موضوعيا ، يبتعد عن المعيارية، ويصبو إلى العلمية، وحاولت أن تسبر أغواره، لتكشف أسرارها، وتقف على بنيته السطحية، والعميقة، وتبين القيم الجمالية التي يضمورها، وتبرز الجوانب الإبداعية فيه، ومنها المنهج الأسلوبي.

فما الأسلوبية؟

إذا قمنا باستقراء المفاهيم المختلفة والمتباينة، التي قدمت للأسلوبية، نجدها تصب في مجموعات ثلاث، كما لخصها صلاح فضل: " أولاً: مجموعة التعريفات التي ترد الأسلوب طبقاً للنموذج التواصلية المعروف في الدراسات الإنسانية إلى المرسل (...). ثانياً: تعريفات تتركز حول الخواص الممثلة في النص ذاته بغض

(1) سوسير (فرديناند دو) Saussure (1858-1913م) : عالم سويسري، من كبار علماء اللسانيات. درس في لايبزيغ وكانت أطروحته عن " استعمال

المضاف إليه المطلق في السنسكريتية ". علم قواعد اللغة المقارنة، ودروس اللسانيات العامة، وجمعت محاضراته ونشرت بعد وفاته في " درس اللسانيات العامة "

1916م. يعتبر بدراسته مؤسس اللسانيات البنيوية الحديثة، والنقد البنيوي الحديث. وقد أحدث تأثيراً عميقاً في مجموع العلوم الإنسانية. (ينظر: المنجد في اللغة

والأعلام، (ط31، بيروت، دار الشروق، 1991م) ، ص315.)

النظر عن قائله (...). ثالثاً: تعريفات تحاول أن تمسك بالأسلوب بالنظر إلى الطرف الثالث في التواصل و هو المتلقي (...)."⁽¹⁾

وفيما يلي عرض مفصل لأبرز التعريفات التي أعطيت للأسلوبية عند الدارسين الغربيين، وعند الباحثين العرب. "فيذهب "رومان ياكبسون " إلى أن الأسلوبية، بحث عما يتميز به الكلام الفني ، عن بقية مستويات الخطاب أولاً، وعن سائر الفنون اللسانية ثانياً."⁽²⁾

ثم يعرفها " آريفاي " Michel Arrivé : " الأسلوبية وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات."⁽³⁾

وعرف بيار قيرو الأسلوبية : "ويمكننا القول إن الأسلوبية بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف. إنها علم التعبير، وهي نقد للأساليب الفردية."⁽⁴⁾ وهي عند جون ديبوا (وأصحابه): " الدراسة العلمية L'étude Scientifique للأسلوب في الأعمال الأدبية."⁽⁵⁾

وفي كتابه: محاولات في الأسلوبية البنيوية (1971)؛ يحدد ريفاتير مفهوم الأسلوبية، متبعاً المنهج العلمي في دراسته. وتوصل إلى أن الأسلوبية تُعنى بالنصّ في ذاته، ولذاته، أي بغض النظر عن كل الاعتبارات التاريخية أو الاجتماعية أو النفسية المحيطة به، وغايتها تخلص النقد الأدبي من المقاييس

(1) فضل (صلاح)، مناهج النقد المعاصر، (المغرب، أفريقيا الشرق، 2002م)، ص 88، 89.

(2) خفاجي (محمد عبد المنعم)، فزهود (محمد السعدي)، شرف (عبد العزيز)، الأسلوبية والبيان العربي، (ط1، الدار المصرية اللبنانية، 1996م)، ص 23.

(3) المرجع نفسه، ص 23.

(4) قيرو (بيار)، الأسلوبية، (ط2، ترجمة: منذر عياشي، دمشق، مركز الإنماء الحضاري، 1994م)، ص 09.

(5) وغلبيسي (يوسف)، مناهج النقد الأدبي، (ط1، المحمدية، الجزائر، جسر للنشر والتوزيع، 2007م)، ص 84.

الخطابية والجمالية، لأنها مقاييس معيارية، غير موضوعية، تستند إلى أحكام قبلية، وعلاقتها باللسانيات هي علاقة النتيجة بالسبب. (1)

ونفهم من هذا الكلام أن محمد عزام يتحدث عن اتجاه معين، من اتجاهات الأسلوبية، يسمى بالأسلوبية البنيوية. أمّا عبد السلام المسدي في كتابه (الأسلوبية والأسلوب) والذي يُعدُّ من الكتب الرائدة في هذا الحقل المعرفي البكر عند العرب. فمصطلح الأسلوبية في نظره هي " البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب. " (2) والملاحظ على تعريف عبد السلام المسدي تأثره بالمصطلح الفرنسي (science du style)، ويعرفها رابح بوحوش الذي فضل ترجمت كلمة Stylistics إلى العربية بالأسلوبيات بقوله: " وهي كلمة مركبة من وحدتين: الجذر: Stylus " التي تعني أداة الكتابة، أو القلم في الأصل اللاتيني، ومن اللاحقة: " يات " " Ics "، المكونة هي بدورها من الوحدة المورفولوجية " ية " " Ic " التي تفيد النسبة، وتشير إلى البعد المنهجي و العلمي لهذه المعرفة. من " ات " " s " ؛ الدالة على الجمع. كل هذه الوحدات مجتمعة تشكل علوم الأسلوب. " (3)، ويظهر أن رابح بوحوش، قد أخذ بالمصطلح الإنجليزي Stylistics وبنعتها منذر عياشي بأنها علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب، و لكنها أيضا علم يدرس الخطاب موزعا على مبدأ هوية الأجناس، و لذا كان موضوع هذا العلم متعدد المستويات مختلف المشارب و الاهتمامات متنوع الأهداف الاتجاهات. (4) والأسلوبية في نظر جوزيف ميشال شريم:

(1) عزام (محمد)، << الناقد الأسلوبى ميشيل ريفاتير >>، جريدة الأسبوع الأدبي، العدد 905، بتاريخ 2004/05/01 م. (موقع إتحاد الكتاب العرب بسوريا

على شبكة الإنترنت (www. awu- dam- org).

(2) المسدي (عبد السلام)، الأسلوبية والأسلوب، (ط3، تونس، الدار العربية للكتاب، 1982م)، ص 33، 34.

(3) بوحوش (رابح)، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، (عناية، منشورات جامعة باجي مختار، (د.ت.)، ص 3.

(1) عياشي (منذر)، مقالات في الأسلوبية، (ط1، دمشق، سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب 1990م)، ص 29.

"هي تحليل لغوي موضوعه الأسلوب و شرطه الموضوعية و ركيزته الألسنية." (1) والملاحظ على هذه التعريفات -على اختلافها وتباينها الشديد في تحديد مدلول مصطلح الأسلوبية، هناك قاسم مشترك بينها، يستشف منها ويتمثل ذلك في تأكيدها موضوعية البحث الأسلوبي، وعلميته، واعتماده على المنهج اللساني. والجدير بالذكر، أن هذه التعريفات التي أعطيت لهذا العلم الوافد من الغرب من قبل الباحثين العرب، لا تختلف عن تعريفات الغربيين أنفسهم، إنما يكمن الاختلاف في كيفية ترجمة مصطلح الأسلوبية.

فهناك فريق ترجمها باستخدام مصطلح "علم الأسلوب" كما نجد ذلك عند صلاح فضل؛ وفي (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث) و (المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات)؛ و (قاموس المصطلحات الأدبية واللغوية)؛ و معظم الدراسات المصرية؛ أو "علم الأساليب" كما يبدو عند الكتاب اللبنانيين؛ و منهم من رأى -لاعتبارات علمية بحتة- ضرورة استعمال مصطلح "الأسلوبيات"، كما فعل رابح بوحوش⁽²⁾ والمصطلح الرائج في الدراسات الأسلوبية، والذي يفضله الكثير من الدارسين والمهتمين بهذا الحقل المعرفي، هو "الأسلوبية". (3)

ومهما يكن من أمر، وبغض النظر عن الاختلاف الحاصل بين الباحثين في ترجمة المصطلح الغربي Stylistique، فإن الأسلوبية استطاعت أن تشق طريقها بقوة وثبات في عالم يزخر بالمقاربات الفكرية و النقدية المتباينة حيناً، و المتكاملة أحياناً أخرى- وإن كان من يقول بموتها، وهو أمر أكثر حوله الجدل بين

(2) شريم (جوزيف ميشال)، دليل الدراسات الأسلوبية، (ط2، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، 1987م)، ص 37 ، 38

(**) لم يعد يستخدم هذا المصطلح منذ سنة 1981م ، وذلك بعد عقد الملتقى الدولي بتونس 1978م ، الذي فضل - مصطلح اللسانيات- على غيره من

المصطلحات.

(3) ينظر: بوحوش (رابح)، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، ص3.

(1) ينظر: وغيلسي (يوسف)، مناهج النقد الأدبي ، ص 85.

الدارسين. يشار إليه دون التوغل فيه لأنه ليس موضوع البحث- ويعزى ذلك، لنظرتها الشمولية إلى الخطاب، ومنهجها العلمي الصارم الذي يعتمد الوصف الموضوعي، وبيتعد عن المعيارية، وقدرتها على سبر أغوار أي خطاب على اختلاف الخطابات وتنوعها. وأخذا بقول عبد السلام المسدي في مقدمة كتابه الأسلوبية والأسلوب في طبعته الثالثة بعنوان الأسلوبية العربية بين المكتسب والمنشود: " فالأسلوبية بين المناصرة و المناصرة، قد شقت في طمانينة وثبات طريقها إلى الفكر العربي الطموح إلى الحداثة لا تفصم موثيق أصالته ولا تتال من المقومات التي تصل الذات بقيم الفكر وأواصر اللغة و خزائن التراث." (1)

و المبحث التالي سيتطرق إلى أشهر الاتجاهات الأسلوبية

2- **اتجاهاتها:** يجدر بالدارس قبل الوقوف على اتجاهات التحليل الأسلوبي، الإشارة إلى أنها تتباين من باحث إلى آخر، فمثلا يميز بريان جيل Brin JILL ، ضمن قاموس اللسانيات ، بين ثلاث أسلوبيات هي: (أسلوبية اللغة، وبيتزعمها شارل بالي، وأسلوبية مقارنة، وأسلوبية أدبية). أما بيار غيرو فيذكر مدرستين أسلوبيتين فقط في كتابه الأسلوبية هما: (الأسلوبية الوصفية *S.Descriptive* ، والأسلوبية التكوينية *S.Gènétique* (2) . والملاحظ أن جل الأسلوبيين العرب احتفظوا بالتقسيمات الأسلوبية الغربية، فعدنان بن ذريل قسمها إلى ثلاثة اتجاهات كبرى، وهي : أسلوبية التعبير، والأسلوبية التكوينية ، والأسلوبية البنوية. ونور الدين السد، جعلها أربعة اتجاهات ، وهي : الأسلوبية التعبيرية، والأسلوبية النفسية، والأسلوبية البنوية ، والأسلوبية الإحصائية. (3)

(2) ط3، تونس، الدار العربية للكتاب، 1982م، ص05.

(1) ينظر : وغليسي (يوسف) ، مناهج النقد الأدبي ، ص 76، 77.

(2) ينظر : وغليسي (يوسف) ، مناهج النقد الأدبي ، ص 87، 88.

و فيما يلي تفصيل للمدارس الأسلوبية الكبرى.

أ-**الأسلوبية التعبيرية** Stylistique De L'Expression، أو الأسلوبية الوصفية Descriptive: أسسها السويسري شارل بالي (1865-1947) باتفاق أغلب الباحثين. والأسلوبية التعبيرية تدرس " وقائع التعبير من ناحية محتواها العاطفي، أي: التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة وواقع اللغة عبر هذه الحساسية." ⁽¹⁾، ويعني بالمحتوى العاطفي للغة أن الفكرة حين تسبك في قوالب لغوية وتتحول إلى كلام، تمر بموقف وجداني معين مثل: التمني أو الترجي أو الأمر، أو النهي... الخ. وانتقد بالي التقسيم المألوف للظاهرة الكلامية إلى لغة الخطاب النفعي اليومي، ولغة الخطاب الأدبي اقترح تقسيما آخر للخطاب : ما هو حامل لذاته وغير مشحون ، وما هو حامل للعواطف و الانفعالات. وبناء على ذلك، فإن هذا الاتجاه يدرس الوقائع المتعلقة بالتعبير اللغوي وآثارها على السامعين، وهي نوعان:

-**الآثار الطبيعية:** وهي وقائع، تدل على روابط كثيرا ما توجد بين الفكر والبنىات اللغوية التي تعبر عنه.مثل علاقة الأصوات ودلالاتها، والصور البلاغية ومعانيها، أو بعض الأنماط البلاغية كالتعجب، والاستفهام، والنداء، والأمر، والقسم، والتأخير والتقديم، والحذف... وغيره. ⁽²⁾

-**والآثار المبتعثة (الاجتماعية) أو الاستدعائية:** " وهو سلوك لغوي، ينتج عن مواقف حيوية لها ارتباط بالواقع الاجتماعي." ⁽³⁾ ، ذلك أن كل لفظة وكل عبارة تخص حالة لغوية واجتماعية محددة، فهناك اللهجات، و النبرات، وهناك لغات تختص بالأوساط الاجتماعية والمهنية والعلمية، و الأدبية، مما يعكس الانتماءات

(3) فضل (صلاح) ، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، (ط1، القاهرة، دار الشروق، 1998م) ، ص18.

(1) ينظر: بوحوش (رابح)، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، ص 32، 33.

(2) ينظر: المرجع نفسه ، المكان نفسه.

و الميول الفكرية والاجتماعية للمتكلمين. إن الأسلوبية التعبيرية، تدرس هذه الوقائع التعبيرية من حيث مضامينها الوجدانية والعاطفية (1)

و خلاصة القول " إن اهتمام بالي بالمحتوى العاطفي جعله لا يهتم بالجوانب الجمالية وتركيزه على اللغة المنطوقة صرفه عن الاهتمام باللغة الأدبية. وتصنيفه للإمكانيات الكامنة أو المثارة في اللغة شده إلى دراسة " القوة التعبيرية في لغة الجماعة " دون الاهتمام بالتطبيقات الفردية لها. وكل هذا جعل دراسته الأسلوبية دراسة لغوية لا دراسة أدبية. " (2)

ت- الأسلوبية البنوية: (الأسلوبية الوظيفية) Stylistique
Structurale.

وتترجم أيضا ب (الأسلوبية الهيكلية)، وهي أكثر المدارس الأسلوبية الحديثة انتشارا، وبصفة خاصة في النقد العربي تنظيرا وتطبيقا. وقد وصفت بالوظيفية؛ لأنها ترى أن المصادر الحقيقية للظاهرة الأسلوبية تكمن في اللغة، وفي نمطيتها، وفي وظائفها؛ ولهذا لا يجوز تعريف الأسلوب خارج النص أو الخطاب. (3)والحقيقة أن الأسلوبية البنوية تعد امتدادا متطورا لمذهب بالي في الأسلوبية الوصفية، كما تعد أيضا امتدادا لآراء دي سوسير الشهيرة التي قامت على التفرقة بين اللسان Langue ؛ و الكلام Parole. و هي تفرقة مهمة - كما ذهب إلى ذلك أحمد درويش- لأنها أشارت إلى وجود فرق بين دراسة الأسلوب بوصفه طاقة كامنة في اللغة بالقوة ويستطيع المؤلف استخراجها لتوجيهها إلى هدف معين، ودراسة الأسلوب الفعلي ذاته، أي: هناك فرق بين مستوى اللغة ؛ و مستوى النص.وقد أخذ هذا التفريق مصطلحات مختلفة في فروع المدرسة البنوية

(3) ينظر: المرجع نفسه ، المكان نفسه.

(2) درويش، أحمد، << الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح و حقول البحث و مناهجه >>، مجلة فصول، المجلد5، العدد 1، 1984، ص 65

(3) ينظر: ابن ذريل (عدنان) ، اللغة والأسلوب، (دمشق ، سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب) ، ص152.

فجاكسون Jakobson يدعو إلى التفريق بين: (رمز/ رسالة) (Code/ Message)، وجيوم Guillaume (لغة/مقالة) (Langue/Discours)، أما هيمسلف Louis Hjelmslev فيجعل التقابل بين (نظام/ نص) (Système / Texte)، وتشومسكي Chomsky (الكفاءة/ الأداء) (Compétence /Performance). وجميع هذه المصطلحات على اختلافها، تشف عن مفهوم متقارب في دراسة اللغة والأسلوب. ⁽¹⁾ وتقرأ الأسلوبية البنوية النص الأدبي قراءة شاملة متكاملة منتظمة ، وتدرس نظام العلاقات بين أنظمتها المختلفة: (الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.) ، ولتكوين صورة واضحة عن هذه الأسلوبية، نعرض منهج أبرز ممثليه رومان جاكسون Roman Jakobson في دراسته للأعمال الأدبية. هذا العالم اللساني الروسي (1896-1982)، الذي أبدع نظرية التواصل، ووظائف اللغة، وبيّن أن الكلام عملية تواصلية لا تختلف في حقيقتها عن العمليات التي تتم بغير العلامة اللغوية. وقد رفض جاكسون تقسيم اللغة إلى مستويين: (عادية إبلاغية وتواصلية، تفرضها الظروف الاجتماعية وأخرى بلاغية أدبية) . وقدم نظريته المشهورة في وظائف اللغة، وحسب هذه النظرية كل عملية لغوية لا تتم إلا من خلال الأطراف التالية: المرسل (الباث) (Emetteur)، و المرسل إليه (المتلقي) (Récepteur)، و الرسالة (الخطاب) (Message)، و عملية الإرسال (و هي عملية تركيب لرموز)، وعملية استقبال (وهي عملية تفكيك للرموز). ويشترط أن تكون السنن (الشفرة) (Code) مشتركة بين المرسل، والمرسل إليه. ويتم التواصل عبر قناة (Canal) محددة؛ ويترتب عن كل طرف من الأطراف وظيفة معينة؛ وقد حددت الوظائف الست حسب الآتي:

• الوظيفة الانفعالية: (La Fonction Expressive/Emotive)

(1) ينظر: درويش، أحمد، << الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح و حقول البحث و مناهجه >>، مجلة فصول، المجلد 5، العدد 1، 1984م. ص 66.

تتمحور هذه الوظيفة كما هو مبين - من ترسيمة جاكسون - حول المتكلم باعتباره الطرف الأول (المرسل)، الذي يسعى إلى إيصال الخبر إلى الطرف الثاني (المرسل إليه) وقد يتخذ محتوى الرسالة أشكالاً مختلفة فيما يشغل بال الباث ، قد يعبر عنه بأحاسيس متعددة: كالفرح، والغضب والاستياء، و التوسل، والاستعطاف... وقد تأتي الرسالة على شكل آهات وتعجبات Interjections ، وقد تعبر عن سخط و صمود؛ واستغراب و حيرة واستخفاف؛ و استهزاء. توظف التعابير والأساليب التي تزخر بها اللغات الطبيعية... وسميت هذه الوظيفة أيضاً بالانفعالية ، لأنها تهدف إلى ترجمة أحاسيس المتكلم وهمومه وانفعالاته.

• الوظيفة الإفهامية: (الندائية) La Fonction Conative

ترتبط بالمرسل إليه؛ أو متلقي الرسالة، وتقوم هذه الوظيفة باستثمار قناة التواصل، وما توفره اللغات الطبيعية من أساليب النداء؛ والأمر والاستفهام؛ والتعجب، والتمني، بهدف لفت انتباه المتلقي وأحسن مثال على هذه الوظيفة؛ شعر الثورة.

• الوظيفة الشعرية (الإنشائية): La Fonction Poétique

ترتبط هذه الوظيفة بالرسالة، لأنها حاملة للمعنى، وتهدف هذه الرسالة - في نظر جاكسون - إلى استيضاح الجانب الملموس للعلامات. وكل ما تحتويه هذه الرسالة؛ هو بمثابة تكملة؛ وشرح لمضمون هذه الرسالة نفسها. يعبر عن ذلك بواسطة أساليب، و تقنيات و تعابير اللغة الطبيعية، مستعملة لهذا الغرض تنبير وتنغيم المفردات (رفع الصوت وخفضه).

• الوظيفة الانتباهية (الاتصالية): La Fonction Phatique

تتعلق بالقناة، أو " الصلة " ، وتهدف إلى إقامة الاتصال بين المتحاورين أو إيقافه، مستعملة لهذا الغرض تعابير وأساليب متداولة في الحياة اليومية، و مشتركة بين أفراد المجتمع من مثل عبارات المجاملة والتحية والأدب.

● الوظيفة المرجعية (الدالية، الاحالية): La Fonction Référentielle

تتعلق بسياق الرسالة، وتسمى أيضا بـ (الوظيفة التعيينية) . تستثمر هذه الوظيفة العلاقة القائمة بين العلامات وما تحيل عليه في العالم الخارجي الذي يجسده المرجع أو سياق التخاطب.

● الوظيفة فوق لغوية (المعجمية): La Fonction Métalinguistique

الميزة الأساسية لهذه الوظيفة ارتباطها بالسنن (الشفرة)، مما أضفى عليها بعض الخصوصية، وجعلها تختلف عن الوظائف الأخرى، فهي تملك كفاية تفسيرية قادرة على وصف اللغة نفسها، أي أنها لغة مفسرة و واصفة للغة ذاتها، بعبارة أوضح هي لغة علمية و دقيقة تضطلع بمهمة شرح و تحليل كل الظواهر العلمية.⁽¹⁾ ويركز جاكبسون في تحليله على الجزء الثاني من الثنائية التي دعا إليها (رمز / رسالة)، اعتقادا منه أن هذه الثنائية تتجسد فعليا في الرسالة دون أن يهمل الطرف الثاني (الرمز). ويبرز ذلك بجلاء في دراسته التي قدمها عام 1961م بعنوان (قواعد الشعر وشعر القواعد)، وقصد (بقواعد الشعر) دراسة الوسائل التعبيرية في اللغة، بينما عنى (بشعر القواعد)، دراسة الآثار المترتبة عن هذه الوسائل، أي الفعالية الناتجة من وضع هذه الوسائل موضع التطبيق. وبذلك نقل التحليل الأسلوبي إلى مستوى البنية، بمعنى الهيكل المنظم للخطاب جميعا. فالظاهرة الأسلوبية مرتبطة ببنية النص، أما النص الأدبي -في نظره- فخطاب هيمنت أو تغلبت فيه الوظيفة الشعرية، أي خطاب تركيب في ذاته ولذاته.⁽²⁾ والأسلوب هو الوظيفة المركزية المنظمة للخطاب و يتحدد بتوافق و انسجام متواليتين متطابقتين في الوظيفة هما: (اختيار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة، تركيب الأدوات تركيبا تقتضي قواعد النحو وتسمح ببعضه الآخر

(1) ينظر: المسدي (عبد السلام)، الأسلوبية والأسلوب، ص ص 157-160.

(2) ينظر: المرجع نفسه، المكان نفسه.

سبل التصرف في الاستعمال). فالوظيفة الشعرية - عنده - إسقاط مبدأ التعادل من محور الاختيار على محور التوزيع. وجسد جاكبسون كل هذه المفاهيم النظرية، في عدة إنجازات تطبيقية، من أشهرها التحليل الدقيق الذي قدمه بمعونة كلود ليفي شتراوس (Lévi Strauss) لقصيدة القطط (Les Chats) للشاعر الفرنسي (شارل بودلير)

C.Boudelaire عام 1962م في مجلة الإنسان، حيث كان منهجها يقتضي تسجيل التطابقات في القصيدة بين الصرف و النحو و المعنى و الوزن. خلاصة القول، فإن " نتاج المدرسة البنائية من السعة بحيث لا يمكن الوقوف أمامه بالتفصيل الآن، لكننا نود أن نشير فقط إلى أنه إذا كان البنائيون قد تابعوا الخط العام للأسلوبية التعبيرية عند (بالي) و تابعوا أيضا المنهج الوصفي عنده، فإنهم تلافوا نقصا وقعت فيه مدرسة (بالي) حين قصرت اهتماماتها على اللغة المنطوقة من ناحية، وحين أحجمت عن وضع تصوراتها موضع التطبيق من ناحية ثانية". (1)

أمّا النقد الذي وجه إلى الأسلوبية البنوية، في رأى رابح بوحوش، فهي مغالاتها في الاهتمام بالشكل وإهمالها المعنى، أي: الاهتمام بالبنية اللغوية دون الدلالة، كما أغفلت العوامل الخارجية المحيطة بالأثر الأدبي، والتي تساهم في فهمه فهما دقيقا، من ظروف ومؤثرات وما شابه ذلك (2).

الأسلوبية الإحصائية: stylistique statistique

(1) درويش، أحمد، << الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح و حقول البحث و مناهجه >>، مجلة فصول، المجلد5، العدد 1، 1984م. ص 66.

(1) الأسلوبيات وتحليل الخطاب، ص41.

ترتكز الأسلوبية الإحصائية على الإحصاء الرياضي ، لأنه منهج يحقق بعدا موضوعيا ، ويضفي على الدراسة الأسلوبية صبغة علمية ، تحد من ذاتية الناقد والدارس.

ومن الذين اقترحوا نماذج للإحصاء الأسلوبي زمب الذي أبدع مصطلح { القياس الأسلوبي}، وفحواه قيام الدارس بإحصاء كلمات النص، ثم تصنيفها بالنظر إلى نوع الكلمة، ووضع متوسط تلك الكلمات في شكل نجمة ،وهكذا تنتج أشكال ونماذج متنوعة يمكن مقارنة بعضها ببعض.⁽¹⁾

وقد اعتمد أ. بوزيمان في الإحصاء معادلة " التعبير بالحدث والتعبير بالوصف" ويقوم هذا النموذج على " إحصاء عدد الكلمات التي تنتمي إلى النوع الأول، وعدد كلمات النوع الثاني ،ثم إيجاد خارج قسمة المجموعة الاولى على المجموعة الثانية.⁽²⁾

وبناء على ذلك يحكم غلى أدبية النص،فارتفاع حاصل القسمة يعد مؤشرا على أدبيته وانخفاضه ،يقربه من العلمية.

وقد وجهت انتقادات عديدة لهذه الأسلوبية، "لأننا عندما نعد إلى الإحصاء في دراسة الأساليب نحيل اللغة الأدبية إلى شئ بلا لون ولا طعم."⁽³⁾

ويورد أولمان بضعة مآخذ تغض من قيمة الطريقة الإحصائية في معاينة البنى الأسلوبية ،" أولا: إن الطريقة الإحصائية تعوزها الحساسية الكافية لالتقاط بعض الملاحظات الدقيقة في الأسلوب كالظلال الوجدانية و الاصداء الموحية والتأثيرات الإيقاعية الدقيقة ما إلى ذلك.

(1) السد نورالدين ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ج1/98،97.

(2) سعد مصلوح ، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية علم الكتب ط3 ، 2002 ص74.

(3) محمد عبد المطلب ، البلاغة و الأسلوبية مكتبة لبنان ناشرون، طبع دار نوبا للطباعة القاهرة، ط1994م، ص185.

ثانيا: البيانات العددية يمكن أن تضفي دقة زائفة على معطيات أشد تعقيدا أو أصعب ضبطا من أن تسمح بمثل هذا العلاج (...)

ثالثا: ومن أكبر المآخذ على ما يسمى طريقة الإحصاء الأسلوبى أنها لا تراعى تأثير السياق مع عظيم خطره فى التحليل الإسلوبى (...)

رابعا: ثمة خطر آخر فى هذه الطريقة وهو أنها تقدم الكم على الكيف وتحشد عناصر شديدة التباين على صعيد واحد بناء على تشابه سطحى فيما بينها.

خامسا: ربما أفضت قائمة هائلة من الأرقام إلى نتيجة لم تكن لتخفى على العين المجردة ، أو لا تحتاج لشدة وضوحها إلى إثبات.⁽¹⁾

وعلى الرغم من الانتقادات المذكورة آنفا، فسعد مصلوح يرى " إمكانية اللجوء إلى الأحصاء بهدف الوصول إلى مؤشرات موضوعية فى فحص لغة النصوص الأدبية وتشخيص أساليب المنشئين.⁽²⁾

ويرد قائلًا: " إننا لعلى يقين من أنه مقياس دقيق إلى حد بعيد ، وأننا بذلك أثبتنا أن صدقه على الأدب العربى لا يقل عن صدقة على غيره من الآداب ، كما أنه مقياس واحد متعدد الوظائف وبسيط فى آن واحد.⁽³⁾

وعلى أية حال، فإن محاولة د. مصلوح فى تطبيق معالة بوزيمان لم تنظر إلى خصوصية اللغة العربية عبر ذلك الفصل القصير والسريع (الفصل الخامس من كتابه ص 59) كما أنها لم تقدم المسوعات الكافية لشرعية تطبيق تلك المعادلة على النصوص الأدبية العربية (...). إذ استبعد من الدراسة الأفعال الناقصة

(1) ألمان ستفن إتجاهات جديدة فى علم الأسلوب، ص 107، 106.

(2) سعد مصلوح ، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية علم الكتب ط 3 ، 2002 ص 74.

(3) المرجع نفسه، المكان نفسه.

والأفعال الجامدة و أفعال الشروع والمقاربة من ناحية إحصائه لعدد الأفعال، كما استبعد من ناحية إحصائه عدد الصفات الصفات التي تقع جملة (1)

ب- الأسلوبية النفسية أو التكوينية (النقدية): أو (أسلوبية الكاتب)
(Stylistique Génétique):

هذا الاتجاه الأسلوبي على اختلاف التسميات المقدمة له، ظهر ردا على الأسلوبية التعبيرية ؛ التي اعتنت باللغة المنطوقة في المقام الأول؛ كما أراد لها مؤسسها شارل بالي، ولم تول اهتماما باللغة الأدبية. وهذا المنهج في البحث على حد قول عبد السلام المسدي: " هو الذي استنفر ردود الفعل المضادة ؛ فتولد على يد الألماني ليو سبتزر Léo Spitzer (1887 - 1960) منهج أسلوبي لا مجازفة في شيء أن نصفه بتيار الانطباعية، فكل قواعده العلمية منها والنظرية قد أغرقت في ذاتية التحليل و قالت بنسبة التعليل ؛ و كفرت بعلمانية البحث الأسلوبي. ".⁽²⁾ وكانت الاتجاهات التي سادت في النقد الأدبي في القرن التاسع عشر قد دخلت في مأزق، بسبب عدم ارتباطها الوثيق باللغة، أو للابتعاد عن الحقول الأدبية. ونبه كارل فوسلير K. Vossler في أوائل القرن إلى ضرورة الاهتمام باللغة في التاريخ الأدبي، فلكي ندرس التاريخ الأدبي لعصر ما ،ينبغي على الأقل الاهتمام بالتحليل اللغوي بالقدر نفسه الذي يهتم فيه بتحليل الاتجاهات السياسية والاجتماعية والدينية لبيئة النص.

واستطاع ليو سبتزر أن يحول هذا الاتجاه إلى نظرية متكاملة في النقد اللغوي، ينعت بالأسلوبية التكوينية أو النقدية، و لخص نظريته و منهجه في مقدمة كتابه المهم (علم اللغة والتاريخ الأدبي)، و قد عرض سبتزر للمنهج الذي

(1) ينظر: حسن ناظم، البنى الأسلوبية دراسة في أنشودة المطر، المركز الثقافي العربي، ط1، 2002، ص52.

(2) الأسلوبية والأسلوب، ص2

اتبعه من خلال دراسة سرفانتس cervantes، و فيدر Fedre، و ديدرو Diderot، و كلوديل Clodèl .

ونستخلص من منهج سبترز التقاطع الواضح بين الأسلوبيتين النقدية، و التعبيرية ويبرز ذلك في عمل الأسلوبيتين على إبراز دور العلاقات التي تربط بين الشكل اللغوي، و التعبير الوجداني المتضمن فيه، وتتحدد نظرتهما إلى النص في البحث عن البنى المختلفة ووظائفها داخل النظام اللغوي، و يختلفان في أن الأسلوبية التكوينية، تتصف بطابعها النقدي، وبالتالي انصب اهتمامها على دراسة المؤلفات الأدبية.(1)

وقد أثار منهج ليو سبترز نقاشا شديدا، بدءا من الربع الأول من القرن العشرين وعلى نحو خاص من أتباع دي سوسير و شارل بالي، الذين كانوا يطمحون إلى إرساء قواعد الأسلوبيات التعبيرية الخالصة، و من جهة أخرى فقد كونت مبادئ ليو سبترز مدرسة أطلق عليها اسم : الأسلوبية الجديدة، ومن روادها في الولايات المتحدة الأمريكية ، داماسو ألونسو Damaso Alonso ، و هاتزفيلد Hatzfeled .(2)

وقد وجه نقد كثير إلى أسلوبيات سبترز، لعل من أبرزها نقد عبد السلام المسدي، إذ يقول: " لا مجازفة في شيء أن ننعته بتيار الانطباعية فكل قواعده العملية منها والنظرية قد أغرقت في ذاتية التحليل وقالت بنسبية التعليل وكفرت بعلمانية البحث الأسلوبي. ". (3)

الظواهر الأسلوبية (الانزياح والمفارقة):

(1) ينظر: عياشي (منذر) ، مقالات في الأسلوبية ، ص45.

(2) ينظر: درويش (أحمد) ، << الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح و حقول البحث و مناهجه >> مجلة فصول، المجلد 5، العدد 1، 1984م. ص67.

(3) الأسلوبية والأسلوب. ص21.

الانزياح لغة: مشتق من الفعل نرح ينرح نزحاً ونزوحاً، بمعنى بعد ، ونزحت الدار فهي تنزح نزوحاً: إذا بعدت (...). وإنما هو جمع منزح وهي تأتي إلى الماء عن بعد، ونرح به وأنزحه، بعد نازح ، ووصل نازح : بعيد.⁽¹⁾

والافت أن معنى الانزياح في اللغة يأخذ معنى بعد وبعيد، ومعنى الانزياح في الدراسة الأسلوبية، يدل عن الابتعاد عن المعنى الأصلي والمعجمي، فالمعنيان يقتربان إلى حد بعيد، بل يتطابقان.

الانزياح اصطلاحاً:

يضع فريمان freeman الحقل الذي تتحرك فيه الأسلوبية في ثلاثة أنماط:

1- الأسلوب بوصفه انحرافاً عن القاعدة.

2- الأسلوب بوصفه تواتراً أو تكراراً لأنماط لسانية.

3- الأسلوب بوصفه استثماراً للأماكن النحوية.⁽²⁾

والذي يهمننا هنا الأسلوب بوصفه انزياحاً أو انحرافاً، إذ اختلفت الدراسات في تحديد المعنى الاصطلاحي للانزياح الأسلوبي، وتباينت آراؤهم تبايناً جلياً، وذلك لاختلاف مشاربهم الفكرية، وتصوراتهم

فقد وصفت ظاهرة الانزياح بتعابير اصطلاحية متعددة مثل الجسارة اللغوية والغرابية والشذوذ اللغوي والابتكار والعدول والازورار والاتساع... وغير ذلك.⁽³⁾

ويعنى الانزياح خروج التعبير عن السائد أو المتعارف عليه قياساً في الاستعمال، رؤية ولغة وصياغة وتركيباً⁽⁴⁾

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج10، ط1997، م6، ص614.

(2) محمد عبد المطلب ، البلاغة و الأسلوبية ، ص147.

(3) ينظر، عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية، ص25، موسى رابعة، الانحراف مصطلحاً نقدياً، ص146، 145.

(4) ينظر، صلاح فضل ، علم الأسلوب، 154، عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب ص102، 93، بيار قيزو، الأسلوبية، ص134.

وقد اهتمت الاسلوبية بمقولة الانزياح اهتماما كبيرا، لأن وجوده أساسي في تشكيل جماليات النصوص والخطابات الأدبية، وقد لخص " المسدي " قيمة الانزياح الأسلوبي بقوله: " ولعل قيمة مفهوم الانزياح في نظرية تحديد الأسلوب اعتمادا على مادة الخطاب، تكمن في أنه يرمز إلى صراع قار بين اللغة والانسان وهو أبدا عاجز عن أن يلم بكل طرائقها ومجموع نواميسها (...)، وهي كذلك عاجزة عن أن تستجيب لكل حاجته في نقل ما يريد نقله وإبراز كل كوامنه من القوة والفعل ،وما الانزياح عندئذ سوى اختيار الإنسان على اللغة وعلى نفسه لسد قصورها وقصوره معا" (1)

وإن من المنظرين من جعل مقولة الانزياح من المسلمات التي تشمل تنوعات النص الأدبي من دون محاولة تحديده بنمط معين من النصوص الأدبية. (2) والمشكلة العويصة التي تواجهها نظرية الانزياح ،هي المعيار أو المقياس الذي يبرز الانزياح ، والسؤال الملح والمهم من الذي يحدد الانزياح؟ " لقد وجدنا في مشروع جون كوهين J.cohen أن الذي يحدد الانزياحات بمختلف أنواعها هو عالم اللسانيات، في حين يحدد الانزياحات في مشروع مايكل ريفاتير m.riffaterre إنما هو القارئ أو مجموعة من القراء. (3) وقد صنف الغربيون الانزياحات في خمسة نماذج استنادا إلى معايير تحدد الانزياح نفسه:

1. تصنيف الانزياحات استنادا الى درجة انتشارها في النص بوصفها انزياحات متموضعة في سياق النص كالاستعارة التي تعد انزياحا موضعيا عن النظام

(1) الاسلوبية والاسلوب ،ص106 .

(2) ينظر: حسن ناظم، البنى الأسلوبية دراسة في أنشودة المطر،ص44.

(3) ينظر:حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، ص117،118.

اللساني، أو بوصفها انزياحات تشمل النص الأدبي في عمومته كالتكرار الذي يمكن تحديد درجة انزياحه طبقاً لعمليات إحصائية.

2. تصنيف الانزياحات بالنظر إلى نظام القواعد اللسانية، فتبرز لنا انزياحات سلبية كتخصيص القاعدة العامة، وانزياحات ايجابية: إضافة قيود معينة مثل القافية.

3. تصنيف الانزياحات بالنظر إلى علاقة القاعدة بالنص المحلل، فتبرز لنا انزياحات داخلية تتمثل في انفصال وحدة لسانية عن القاعدة المهيمنة على النص، وانزياحات خارجية تتمثل في اختلاف أسلوب النص عن القاعدة التي كتب النص بلغتها.

4. تصنيف الانزياحات بالنظر إلى المستوى اللساني الذي تستند إليه تلك الانزياحات فتبرز لنا انزياحات خطية وصوتية وصرفية و معجمية و نحوية ودلالية.

5. تصنيف الانزياحات بالنظر إلى مبدأي الاختيار والتأليف طبقاً لمبدأ ياكوبسون في إسقاط مبدأ التماثل من محور الاختيار على محور التأليف، فتبرز لنا انزياحات استبدالية تحطم قواعد الاختيار كوضع المفرد مكان الجمع والصفة مكان الموصوف واللفظ الغريب بدلاً من المؤلف.⁽¹⁾

(1) ينظر: فضل صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص186، 108.